المرعشي وجهوده في علوم القرآن

أ٠د٠ أحمد بن سليمان بن صالح الخضير (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تنوعت علوم القرآن الكريم، وتعددت موضوعاته، ومؤلفاته حتى ترى أن هناك موضوعات ألفت في كل فن وعلم من علوم القرآن على حدة، كأسباب النزول بمؤلف واحد ، والناسخ والمنسوخ بمؤلف مستقل، وهناك من جمع هذه العلوم المتناثرة بمؤلف جامع لكل هذه العلوم، وهناك صنف من التأليف أدخلت فيه مباحث من علوم القرآن ضمن تأليفه .

وكان من ضمن من اهتم بهذا الصنف والمنهجية من التأليف محمد بن أبي بكر المرعشي، الذي ألف كتاباً سماه "ترتيب العلوم "، جمع فيه ما تناثر من مسائل علوم القرآن ، والتي قمت بدوري برصد هذه المسائل المتناثرة في هذا الكتاب لأبرزها في هذا البحث الذي سميته " المرعشي وجهوده في علوم القرآن" ؛ لأفتح بعد ذلك نافذة من نوافذ البحث العلمي تأتي تباعا لتدرس هذه المسائل المجموعة في هذا البحث .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن هناك مسائل في علوم القرآن منثورة في كتب المرعشي لم تجمع وترصد ، ليأتي هذا البحث ليحاول الإجابة على السؤال الرئيس:

ما مسائل علوم القرآن عند المرعشي ؟

(*) أستاذ القرآن الكريم وعلومه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم.

ثم يتفرع من ذلك السؤال وبشكل تمهيدي ومدخل للبحث :

– من المرعشي؟ وما مكانته العلمية؟.

أهمية الموضوع:

١ – تظهر أهمية الموضوع من خلال ارتباطه بالقرآن الكريم، وما اشتمل عليه من بيان.

٢ – أن علوم القرآن تعتبر باباً من أبواب التدبر للقرآن الكريم.

٣ – أن هذه المسائل لم تجمع من بعد .

أهداف الموضوع:

١ – التعريف بالعالم محمد بن أبي بكر المرعشي.

٢ – أن المرعشي قد عُدّ من المفسرين وفي طبقاتهم – كما سيأتي –.

٣ – إبراز موضوعات ومسائل علوم القرآن عند المرعشي .

الدراسات السابقة:

لم أجد من جمع هذه المسائل المتناثرة من علوم القرآن في كتب المرعشي ، وبهذا البحث يثمر ويتولد منه دراسة المسائل المجموعة في بحث آخر .

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهميته وأهدافه والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه.

القسم الأول: وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ولقبه ومولده ومكان ولادته.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الثالث: مكانته العلمية.

المبحث الرابع: وفاته.

المبحث الخامس: مؤلفاته.

الفصل الثاني: منهج المرعشي في عرضه لمسائل علوم القرآن .

القسم الثاني: مسائل علوم القرآن عند المرعشي، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول : حكم حفظ القرآن .

المبحث الثاني : علم التجويد .

المبحث الثالث : علم الوقف والابتداء .

المبحث الرابع : علم رسم القرآن .

المبحث الخامس : علم القراءات والفرق بين القراءات والتجويد .

المبحث السادس : علم التفسير .

المبحث السابع : كتب التفسير .

المبحث الثامن : فضائل القرآن .

المبحث التاسع : أسماء القرآن .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات .

منهج البحث : منهج استقرائي وصفي ، وسرت في التوثيق على المنهجية العلمية المتبعة عند أهل الفن .

القسم الأول : وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف:

وفيه خمسة مباحث :

لم تسعفنا المصادر التي ذكرت وتعرضت للمرعشي بالمعلومات والأخبار التي نتمكن من خلالها التعرف على هذه الشخصية العلمية الكبيرة، فكل ما وجدناه عبارة عن ترجمات مختصرة، ولمحات مختزلة يسردها المؤلف نفسه في كتب، إضافة إلى إشارات في فهارس المخطوطات والكتب التي تهتم بالتراث والعلوم، وكلها مجتمعة لا تشكل مادة علمية كافية للوقوف على ما يتعلق بجوانب حياته المختلفة، وقد أمعن النظر فيها محاولاً الكشف وسد الهوّة الغامضة من حياة المرعشي وشخصيته ومكانته وتكوينه العلمي، وهو ما سأتحدث عنه باختصار في المباحث الآتية:

المبحث الأول: اسمه ولقبه ومولده ومكان ولادته

اسمه: المولى العالم محمد بن أبي بكر المرعشي الأزميري الحنفي.

لقبه: يلقب بالمرعشي، وهي نسبة إلى مدينته مَرْعَشْ، بفتح الميم وسكون الراء، وعين مهملة مفتوحة وشين معجمة، وهي مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني نسبة إلى بانيه مروان بن محمد، أحد خلفاء بني أمية، ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة[1]، وكان لها زروع وأشجار وفواكه كثيرة، ولا تزال باقية على بعد ١٤٠كم من الشمال الغربي من حلب، وهي الآن تقع في أراضي الجمهورية التركية، وتقع على نهر جيحان؛ حيث ألحقتها تركيا بأملاكها سنة ٩٢١هـ، مدة حكم السلطان سليم[2]،

(١) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (١٠٧/٥).

(٢) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، د.فريد وجدي (٧٥٨/٨).

وقد انتسب إليها عدد كبير من العلماء يربو عددهم على الأربعين أسهموا في مختلف أصناف العلوم وعلى فترات من الزمان(١).

ويلقب أيضاً بساحقلي زاده، وهي كلمة مركبة من لفظين، أما الأول ساحقلي: فهي لفظة تركية معناها ذو هدب، وأما الثاني زاده: فهي لفظة تركية أيضاً، ومن معانيها: الأصيل(٢)، وهو لقب لكثير من العلماء.

وقد اعتاد المرعشي بذكر اسمه ولقبه في بداية كتبه، فيقول: محمد المرعشي الملقب أو المدعو بساجقلي زاده(٣).

مولده ومكان ولادته: أحجمت كتب المصادر عن ذكر تاريخ ولادته، إلّا أن الراجح أن ولادته كانت في أواخر الربع الثالث أو أوائل الرابع من القرن الحادي عشر الهجري(٤).

أما مكان ولادته، فقد ولد المرعشي بمرعش، وهي التي ينتسب إليها وفيها نشأ وتعلم الابتدائية من علمائها.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

كما ذكرت آنفاً أن المصادر التي ترجمت للمرعشي لم توفه حقه من البيان والتفصيل، ومن هنا جاء الغموض على شيوخه وتلاميذه.

ولقد بلغ عدد شيوخه الذين استطعنا التعرف عليهم أربعة شيوخ:

١. حسن المرعشي.
٢. حمزة أفندي الدارندي(٥).
٣. عبد الغني إسماعيل النابلسي الدمشقي(٦).

---

(١) انظر: معجم المؤلفين، لرضا كحالة (١٥/٢٢٠-٢٢٢).
(٢) انظر: المعجم العربي التركي (٤/٣٧، ٥٦٥).
(٣) انظر مثلاً: كتاب جهد المقل (ص١٠٥)، وكتاب ترتيب العلوم (ص٧٩) للمؤلف نفسه.
(٤) انظر: مقدمة كتاب جهد المقل، بتحقيق: د.سالم قدوري الحمد (ص١٤).
(٥) انظر: مقدمة كتاب جهد المقل للمرعشي، بتحقيق: د.سالم قدوري الحمد (ص١٧).
(٦) انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي (٣/٣٠)، وهدية العارفين، لإسماعيل باشا (٢/٢٢٢).

٤. محمد بن الشيخ محمود الشهير بدباغ زاده[١].

أما تلاميذه:

فقد ذكر عن المرعشي "أنه كان يحضر حلقات الدراسة من جهة، ومن جهة أخرى يدرس الطلبة بالعلوم المختلفة، ومن جهة كان يكتب ويؤلف آثاراً مهمة حتى أواخر حياته"[٢].

وكان من أبرز تلاميذه:

١. حسين بن حيدر البرتزي المرعشي.
٢. عبد الرحمن بن علي العينتابي.
٣. محمد بن عمر الدارندي الرولي[٣].

المبحث الثالث: مكانته العلمية

بدأ المرعشي تعليمه في مدارس بلدته الأولية على يد علماء مدينته، ثم انتقل إلى أماكن عدة يطلب العلم، ثم عاد إلى مرعش مرة أخرى، ومن هنا أصبح المرعشي عالماً متمكناً يلقي الدروس ويؤلف، وقد كان إماماً للجامع الكبير فيها.

قال عنه عادل نويهض: "فقيه مفسر ومشارك في بعض العلوم"[٤].

وقال عنه اسماعيل باشا: "المدرس والإمام في جامع بلده"[٥].

وقال عنه الزركلي: "فقيه حنفي من العلماء، مشارك في معارف عصره"[٦].

---

(١) انظر: هدية العارفين (٣٠٧/٢).
(٢) انظر: عثمانلي مؤلفلري (٤٣٤/١).
(٣) انظر: هدية العارفين (٣٢٧/١)، (٥٥٣/١)، (٣٢٤/٢).
(٤) انظر: معجم المفسرين (٥٠٥/٢).
(٥) انظر: هدية العارفين (٢٢٢/٢).
(٦) انظر: الأعلام (٦٠/٦).

المبحث الرابع: وفاته

اختلف أصحاب التراجم في وفاته، فبينما أرخ البغدادي لوفاته سنة ١١٥٢هـ[١]، نجد عمر رضا كحالة ينقل عن سجلات المكتبة البلدية أن وفاته كانت سنة ١١٥٠هـ[٢] بمرعش، بينما ذكر محمد طاهر بورسالي: "المرعشي انتقل إلى الدار الآخرة سنة ١١٥٤هـ، ودفن بالمقبرة التي هي في جهة القبلة بمدينة مرعش، ويذكر في السجل العثماني أنه مدفون في اسكدار بمدينة استنابول أثر ضعيف"[٣].

المبحث الخامس: مؤلفاته

ورث المرعشي مكتبة متنوعة في شتى العلوم والفنون، ما بين التفسير والتجويد والقراءات والفقه والمنطق والكلام والعقائد والفرائض والمناظرة، وهي كالتالي:

١. نهر النجاة في بيان مناسبات أم الكتاب، (وهو الكتاب الذي بين أيدينا).
٢. جهد المقل، مطبوع، بتحقيق الدكتور سالم قدوري الحمد.
٣. ترتيب العلوم، مطبوع، وقد حقق مرتين، مرة بتحقيق نجلاء قاسم عباس، ومرة بتحقيق محمد إسماعيل السيد أحمد.
٤. الرسالة الوالدية في آداب البحث والمناظرة، مطبوع بتحقيق الدكتور سالم قدوري الحمد، وحقق أيضاً من قبل عبد الخالق البشراوي.
٥. حاشية تفسير الكشاف على سورة البقرة، مخطوط.
٦. رسالة في الآيات المتشابهات، مخطوط.
٧. رسالة في إيمان والديّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مخطوط.
٨. غاية البرهان في تفسير آية الكرسي، مخطوط.

---

(١) انظر: هدية العارفين (٢/٢٢٢).
(٢) انظر: معجم المؤلفين (١٢/١٤).
(٣) انظر: عثمانلي مؤلفلري (١/٤٣٤).

٩. حاشية على شرح ديباجة الطريقة المحمدية، مخطوط.
١٠. تسهيل الفرائض، مخطوط.
١١. عصمة الإذهان في المنطق، مخطوط.
١٢. العرائس في المنطق، مخطوط.
١٣. سلسبيل المعاني، مخطوط.
١٤. سجة القدير في مدح ملك القدير، مخطوط.
١٥. عندليب المناظرة، مخطوط.
١٦. عندليب من الآداب، مخطوط.
١٧. توضيح زبدة المناظرة، مخطوط.
١٨. تقرير قوانين المناظرة، مخطوط.
١٩. رسالة في تجديد الإيمان، مخطوط.
٢٠. رسالة في الفتاوى، مخطوط.
٢١. جامع الكنوز، مخطوط.
٢٢. تحرير التقرير من المناظرة، مخطوط.
٢٣. الرسالة العادلية، مخطوط.
٢٤. تهذيب القراءة، مخطوط.
٢٥. حاشية على شرح المطالع، مخطوط.
٢٦. حاشية على الخيالي، مخطوط.
٢٧. رسالة في إتلاف الكلاب المضرة، مخطوط.
٢٨. رسالة التنزيهات، مخطوط.
٢٩. نشر الطوالع في علم الكلام، مخطوط.
٣٠. رسالة في التوحيد، مخطوط.
٣١. رسالة في ذم الدخان، مخطوط.

٣٢. مجموعة أذكار وأدعية، مخطوط.

٣٣. شرح الرسالة السمرقندية، مخدوط.

وإلماحة سريعة على عناوين هذه الكتب، نجد فعلاً أن المرعشي كان موسوعة علمية، ورجلاً متبحراً في علوم مختلفة(١).

الفصل الثاني: منهج المرعشي في عرضه لمسائل علوم القرآن

يتمثل منهج المرعشي في عرضه لمسائل علوم القرآن في النقاط التالية:

١. يصدر الحديث في كل علم وفن من فنون علوم القرآن بالحديث عن حده وتعريفه .

٢. يذكر التعاريف والنقول من مصادرها بذكر اسم المؤلف والكتاب .

٣. يشرح تارة ويعلق تارة ويستدرك أيضا تارة أخرى على تلك النقول.

٤. يبعد ذكره للتعاريف يذكر ما يراه مناسبا من التعاريف من وجهة نظره بكل تجرد وأمانة .

٥. في نهاية حديثه عن كل علم من علوم القرآن يذكر المؤلفات في الباب سواء من سبقه أو كانت من تأليفه .

٦. ظهرت أمانته العلمية من حيث النقل من المصادر ،كما ظهرت شخصيته بتعليقه واستدراكه .

القسم الثاني : مسائل علوم القرآن عند المرعشي، وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : حكم حفظ القرآن .

قال المرعشي : " الفصل "لسادس عشر: حكم حفظ القرآن.

---

(١) للاستزادة في ترجمته انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان (٣/٣٤٤)، ومقدمة كتاب جهد المقل، تحقيق د.سالم قدوري الحمد (ص١١، وما بعدها)، ومقدمة كتاب ترتيب العلوم، بتحقيق محمد إسماعيل السيد أحمد (ص١٥ وما بعدها)، فقد استفدت من الكتابين الأخيرين كثيراً.

قال السيوطي في "الإتقان": إن من فروض الكفايات على الأمة حفظ قوم منهم، يبلغ عددهم حد التواتر، كل القرآن. وتعليمه أيضا فرض كفاية وهو من أفضل القرب، انتهى.

وبلوغ العدد إلى حد التواتر فيه اختلافات، والصحيح أن العدد ليس بشرط في حد التواتر، بل حده عدم تجويز العقل تواطؤهم على الكذب "[1].

قوله: على الأمة، يشعر أن ذلك ليس بفرض الكفاية على أهل كل بلد، بل على جميع الأمة، فيسقط الفرض عن جميعهم بحفظ قوم منهم، وفيه نظر؛ لأن معنى كون ذلك فرض كفاية صيانة القرآن عن التحريف والشك فيه، وإمكان أن يرجع إليهم من يشك في شيء من كلمات القرآن أو حروفه.

وأعني بإمكان المراجعة إليهم- القدرة الميسرة-، إذ معنى كون الشيء فرض كفاية، دفع الحرج عن الناس بحسب المعاش أو المعاد، وفي مراجعة من في أقصى بلاد المشرق إلى من في أقصى بلاد المغرب حرج عظيم.

فالظاهر أن يفترض كفاية وجود حفاظ يبلغ عددهم حد التواتر في أقطار بحيث يتيسر المراجعة إليهم من كل بلد من بلاد الإسلام.

قوله: كل القرآن، معناه جميع القراءات الصحيحة، ولا يكفي حفظ رواية راو واحد أو قراءة شيخ واحد، كما يشير إليه قول الجعبري: "نقل القراءات السبع فرض كفاية لأنها أبعاض القرآن" ، انتهى.

ثم إن في اشتراط الحفظ هنا نظر، يكفي تصحيح قوم منهم يبلغ عددهم حد التواتر مصاحفهم على حفاظ لا يشكون في صحة حفظهم، أو على مصاحف لا يشكون في استقامتها، وكونهم بحيث يقدرون على طلب ما يحتاج إليه من الآيات قياسا على ما قاله الغزالي في اقتصاد الحديث، كما نقلناه.

---

(١) انظر (١ / ٣٤٣) .

قوله: وتعليمها فرض كفاية، لا يختص بالقرآن، بل جميع فروض الكفايات من العلوم تعليمها فرض كفاية، وذلك ظاهر.

وأما ما كان علمه فرض عين، فتعليمه فرض كفاية بالطريق الأولى" [١].

المبحث الثاني : علم التجويد .

قال المرعشي : " وأما علم التجويد:ويسمى علم الأداء أيضا، فهو علم يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، وقد يعرف بأنه ملكة يقتدر بها على إعطاء الحروف حقوقها، وذلك لأن أسماء العلوم قد تطلق على الملكات الحاصلة من إدراكات مسائلها، كما أنها تطلق على نفس المسائل وعلى إدراكاتها. وأما التجويد المعرف: بأنه إعطاء الحروف حقوقها من المخارج والصفات، فليس الذي هو اسم الفن، بل هو صفة للقارئ المجود، فللتجويد معنيان اصطلاحيان. قيل موضوعه الكلمات القرآنية، وفيه نظر، إذ البحث فيه عن مطلق الحروف، فلعله بعض علم التصريف، ولذا اشتمل عليه بعض كتبه كالشافية.

ولما كان غرض من أفرده عن التصريف معرفة أحوال الكلمات القرآنية اعتبر موضوعه الكلمات القرآنية. قال علي القاري : "لا خلاف في أن علم التجويد فرض كفاية والعمل به فرض عين[٢]".

أقول: فيه نظر؛ لأن العلم تابع للمعلوم، كما صرح به، فلزم أن علمه فرض عين أيضا، والجواب: أن كون العلم تابعاً للمعلوم فيما إذا توقف تحصيل المعلوم عله، والعمل بالتجويد قد يحصل بالأخذ من أفواه مشايخ الأداء، بل ذلك هو العمدة، لكن بمعرفة قواعد ذلك الفن يسهل الأخذ عن أفواه المشايخ، وبها يعرف غلط الأساتذة، ويصان المأخوذ عن التحريف والشك، ويزيد بها المهارة. قال مكي في الرعاية: " من لم يعرف قواعد التجويد واقتصر على السماع من أفواه

(١) ترتيب العلوم (ص ١٠٧) .
(٢) المنح الفكرية ص ١٩.

الأساتذة، فذلك وهن ضعيف لا يلبث أن يشكك ويحرف"[1] انتهى. وفي هذا الفن مؤلفات لا تحصى، فهو فن اهتم به أسلاف العلماء. وقال ابن الجزري في التمهيد:" إن أولى ما قدم من علوم القرآن معرفة تجويده."[2].

أقول: وقد ترك الاشتغال بهذا الفن في زماننا، ولذا شاع غلط كثير في ألسنة القارئين، مثل قراءة الضاد المعجمة كالطاء المهملة، مع أن حقها أن تقرأ كالظاء المعجمة، كما هو المصرح به مفصلاً فى كتب هذا الفن، ومن اكتفى بمثل مقدمة ابن الجزري رحمة الله عليه، لا يطلع على حقائق صفات الحروف، إلا أنه يشتغل ببعض شروحه المطنبة مثل شرح على القاري. والبائس الفقير رتب رسالة حاوية على عامة مسائل هذا الفن وسماها "جهد المقل" وشرحها وسمي الشرح "البيان"، ومن اطلع على ما فيهما يستغني عن أكثر المؤلفات فيه، ويصير رحلة في هذا الفن.

وفي قول على القاري: والعمل به فرض عين– مسامحة، إذ ما هو فرض عين هو تجويد الحروف عن اللحن الجلي، وتفصيل هذا في رسالتنا المذكورة"[3].

المبحث الثالث : علم الوقف والابتداء .

قال المرعشي : "وأما علم الوقف والابتداء فالظاهر من كلام السيوطي في الإتقان: أنهما علم واحد حيث قال:" النوع الثامن والعشرون في الوقف والابتداء أفرده بالتصنيف خلائق منهم ابن الأنباري والداني والسجاوندي، وهو فن جليل يعرف به كيفية أداء القرآن، قال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء "[4] انتهى كلام السيوطي.

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة (٢٥٤) .

(٢) (١ / ٤٠) .

(٣) ترتيب العلوم (ص ١٢٨) .

(٤) (١ / ٢٨٢) .

أقول: هو علم يعرف به مواضع الوقف والابتداء من القرآن. وقول السيوطي: يعرف به كيفية أداء القرآن، يصرح بأن هذا الفن داخل في التجويد، وقوله: أفرده بالتصنيف، يشعر بذلك؛ لأن الظاهر أن معناه إفراده عن علم التجويد، سئل علي رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ٤] فقال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. انتهى.

وقال على القاري: قال ابن الجزري: إن في كلام علي رضي الله عنه دليلا على وجوب تعلمه، انتهى. يعني تعلم الوقف. وقال ابن الجزري في التمهيد: قد صنف العلماء في أقسام الوقف كتباً مدونة وذكروا فيها أصولا مجملة وفروعا في الآي مفصلة، انتهى.

أقول أما أصولها المجملة فاشتمل عليها أكثر كتب التجويد. والبائس الفقير أدرجها في "جهد المقل"، بحيث لا مزيد عليها. وأما فروعها في الآي مفصلة، ففيها مؤلف أبي عمرو الداني ومؤلف ابن الأنباري. والتزم الكواشي الإشارة إلى مواضع الوقف في جميع القرآن"[١] .

المبحث الرابع : علم رسم القرآن .

قال المرعشي : " وأما علم مرسوم المصاحف فهو علم يعرف فيه كيفية رسم المصاحف الأئمة، أي خطها.

أقول: الأئمة صفة المصاحف، والمراد منها المصاحف التي كتبها الصحابة بأمر عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته.

قال الداني في المقنع: أرسل عثمان رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت وإلى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث، وأمرهم أن ينسخوا مصاحف ففعلوا، فبعث عثمان رضي الله عنه إلى كل أفق مصحفاً من تلك المصاحف التي كتبوها. وأكثر العلماء على أن عثمان رضي الله عنه لما كتب

(١) ترتيب العلوم (ص ١٣١) .

المصحف جعله أربع نسخ، وبعث إحداهن إلى الكوفة وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة.

وقيل أنه جعل سبع نسخ ووجه منها نسخة إلى مكة ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين، والأول أصح وعليه الأئمة"[١] . انتهى.

قوله: لما كتب المصحف، معناه لما أمر بكتب المصحف كما هو ظاهر من سابق كلامه، وإنما أضيفت المصاحف ورسومها إلى عثمان رضي الله عنه لوقوعها بأمره، فهو كقولهم: بني الأمير المدينة، وإنما وصف تلك المصاحف بالأئمة لأن كل واحد منها استنسخت منه مصاحف لا تحصى، فصارت أئمة اقتدى برسمها المصاحف. فإذا قيل: رسم الإمام، يمكن أن يراد بالإمام المصحف الإمام، وأن يراد عثمان رضي الله عنه. وإذا قيل: كذا في الإمام، يراد به المصحف البتة. قال الزمخشري في "الكشاف": قد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها الخط العربي "[٢].

قال السيوطي في الإتقان" قال أحمد: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان رضي الله عنه في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك".[٣] انتهى.

فعلم أن هذا الفن فرض على الكفاية، قال في بعض شروح الرائية: إن خطوط مصاحف الصحابة كانت بلا نقط ولا شكل محتملة لجميع القراءات التي يعول عليها. وهذا النقط والشكل الموجود في المصاحف اليوم محدث، وقالوا: لا بأس به، انتهى. وقال السيوطي عن النووي :"إن نقط المصحف وشكله مستحب؛ لأنه صيانة له من اللحن والتحريف"[٤] انتهى.

---

(١) (ص ١٦) .
(٢) (ص ٢٧) .
(٣) (١/ ٢٣٧) .
(٤) (٤ / ١٨٥) .

والمراد من الشكل: هو رسم الحركات والسكون والتشديد والمد.

أقول: وعلى النقط والشكل يختص المصحف ببعض القراءات. ومصاحف ديارنا منقوطة ومشكلة على قراءة عاصم، ورواية حفص عنه. ومن المؤلفات في بيان رسم المصاحف المقنع للداني والرائية للشاطبي وجامع الكلام" [١].

المبحث الخامس :علم القراءات والفرق بين القراءات والتجويد .

قال المرعشي :" واعلم أن بعض مسائل القراءات، يتوقف على معرفة بعض المسائل هذا الفن، كالوقف على مرسوم الخط. ومن جهل هذا الفن يتحير عند مقابلة المصاحف. وبعض من جهله يغير خط المصحف القديم إلى ما أحدثه الناس اليوم، ظنا منه أن خط المصحف القديم غلط، وبعضهم يقرأ {أُولَاتُ الْأَحْمَال} [الطلاق: ٤] بالواو، وما قرئ في الأعراف بواو واحدة، إلى غير ذلك من الأغلاط.

وأما علم القراءات:

فهو علم مذاهب الأئمة في قراءات نظم القرآن، والقراءات أبعاض القرآن، لكن تنقسم إلى مشهورة وشاذة، والمشهورة: هي الصحيحة المعتبرة. والشاذة: هي الضعيفة. والمراد من المشهورة هي المتواتر نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن الجزري في النشر: "كل قراءة وافقت العربية وأحد المصاحف العثمانية وصح نقلها عن النبي عليه السلام فهي صحيحة لا يحل ردها، ويجب على الناس قبولها، سواء كانت من قراءات الأئمة السبعة أو من قراءات غيرهم، ومتى اختل أحد هذه الأركان فهي ضعيفة شاذة وإن كانت من قراءات الأئمة السبعة، انتهى. قوله، صح نقلها: لعل معناه تواتر نقلها فالتي ثبتت بخبر الآحاد شاذة. قال أبو شامة: أكثر العلماء اقتصروا في تصانيفهم على ذكر قراءات الأئمة

(١) ترتيب العلوم (ص ١٣٢) .

السبعة لكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءاتهم، وبعض ما نسب إليهم غير مجمع عليه" [1] انتهى.

أقول: والمجمع عليه هي المشهورة وغير شاذة، وفي الإجماع هنا إشكال؛ لأن الظاهر أن معناه ما أجمع عليه أئمة القراءات، وقراءة بعضهم تخالف قراءة البعض الآخر منهم، فيلزم أن لا تكون مجمعا عليها، كقراءة "ملك" قرأ بعضهم بالألف وبعضهم بلا ألف، مع أن كلتا القراءتين مجمع عليها. والجواب أن اختلاف أئمة القراءات ليس في الصحة والثبوت بل في الترجيح، فكل من الأئمة يسلم ثبوت قراءة الآخرين، وهذا بخلاف اختلاف المجتهدين، فإن اختلافهم على طريق التدافع والرد، قال الجعبري:" إن الخلاف في وجوه القراءات ليس كالخلاف في الأحكام؛ لأن كلا من وجوه القراءات الصحيحة حق في نفس الأمر، وأما كل من وجوه الحكم المختلف فيه: فهو حق اعتبار الاجتهاد والحق في نفس الأمر واحد منها" انتهى.

والمراد من الأئمة السبعة: نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم وحمزة والكسائي الثلاثة كوفيون، وأغلب قراءات هؤلاء الأئمة مشهورة صحيحة مجمع عليها.

واقتصر الشاطبي على ذكر قراءاتهم [2] ، وزاد بعض المصنفين قراءة يعقوب البصري- وأبي جعفر المدني، وخلف لكون أغلب قراءاتهم مشهورة صحيحة أيضا.

إن قلت: خلف راوي حمزة، فما معنى زيادة قراءته؟ قلت: له قراءتان: إحداهما رواية عن حمزة والأخرى ما رجحها بنفسه، وصار بما رجحه بنفسه شيخاً وله باعتباره رواية كسائر الأئمة.

---

(١) (١ / ٩) .

(٢) انظر كتابه حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع .

اعلم أن رد شيء من القراءات المتواترة كفر، بخلاف غير المتواترة، فمن لم يعلم القراءات المتواترة، قد يرد ما لم يسمعه منها. قال السيوطي: أوعى ما صنف في القراءات المشهورة، النشر في القراءات العشر وتقريب النشر، كلاهما لابن الجزري"[١] انتهى.

ثم اعلم أن علم القراءات يخالف علم التجويد؛ لأن المقصود من الأول، معرفة اختلاف الأئمة في نفس الحروف أو في صفاتها المقصود .

من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلا يعرف في التجويد أن حقيقة التفخيم كذا، وحقيقة الترقيق كذا، ويعرف في القراءات أن هذه الحروف فخمها فلان ورققها فلان. بهذا يندفع ما عسى أن يقال: علم القراءات يتضمن مباحث صفات الحروف كالإدغام والإظهار والمد والقصر والتفخيم والترقيق هي من مباحث علم التجويد، قال جعبري: نقل القراءات السبع فرض كفاية لأنها أبعاض القرآن، انتهى.

أقول: لا تنحصر القراءات الصحيحة في السبع كما عرفت، فالظاهر أن يقال نقل جميع القراءات الصحيحة فرض كفاية. ومن العجب أن العلوم المتعلقة بنظم القرآن المجيد من القراءات والتجويد، قد وجدناها مهجورة في أمثال ديارنا، تجد أكثر من يحمل فوق رأسه العمامة الكبرى لا يدرون أشهر مسائل القراءات والأداء، ويقرؤون القرآن كالنساء وأهل القرى، غفلوا عنها وأن تحصيلهم، ثم منعتهم رياستهم وهيئاتهم عن تعلم علومه والجلوس بين أيدي شيوخه لتصحيح حروفه، ومعرفة وجوه قراءته، ثم يفتخر بعض أولئك بما يتفوه به من اصطلاحات الفلاسفة، ولعل تلك العادة وثبت إلينا من بلاد الشيعة إخوان الفلاسفة المعرضين عن طريق أهل السنة"[٢] .

---

(١) (١ / ٢٦٤) .

(٢) ترتيب العلوم (ص ١٣٥) .

المبحث السادس :علم التفسير .

قال المرعشي : "وأما علم القرآن:فقد سبق تجويده ورسم مصاحفه ووجوه قراءاته، وبقي علم تفسيره، فعلم التفسير، في عرف العلماء: بيان معاني القرآن كما في الكشاف للزمخشري. [1] وموضوعه: نظم القرآن. والغرض منه: الاطلاع بقدر الطاقة على ما أراد الله بكلامه، لكن ينبغي أن يكون علم التفسير علمًا متضمنًا بقواعد كلية يستخرج بها معاني القرآن، وما ذلك إلا بالعلوم العربية كاللغة والتصريف والنحو والمعاني، بل أصول الفقه أيضًا لكن الاصطلاح وقع على أنه التصريح بمعاني القرآن، كما في كتاب الكشاف، قال البيضاوي: علم التفسير– يريد بيان معاني القرآن– رئيس العلوم الدينية، لا يليق للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها، أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية بأنواعها"[2] انتهى.

أقول: علم العقائد والفقه، وإن لم يتوقف عليهما علم التفسير، بل هما يستنبطان منه، لكن ينبغي أن يقدما عليه، ليكمل تحصيله، فعلم

التفسير يستمد من العلوم الدينية كلها، ومن بعض العلوم العربية، وهو ما عدا علم العروض والقافية وقرض الشعر وإنشاء النثر والمحاضرات والتواريخ، وزماننا هذا زمان يمد يده إلى علم التفسير– تعليمًا أو تعلمًا– من ليس له أهليته، من غير نكير من أحد. ومن أعظم ما يتوقف عليه هذا العلم الذكاء والفهم الثاقب، ترى من لم يستأهل للاطلاع على جليات الفنون يدرس مثل تفسير البيضاوي ويتعلمه من لا يحسن فهم أنموذج الزمخشري، ولعل من أشراط الساعة: ارتفاع شرائط التعليم والتعلم ليرتفع العلم " [3].

---

(١) (١ / ٢) .

(٢) (١ / ٢٣) .

(٣) ترتيب العلوم (ص ١٦٣) .

المبحث السابع :كتب التفسير .

قال المرعشي :"الفصل السابع أهم كتب التفسير والتعويل في بعض كتب التفاسير في بيان معاني القرآن، على المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين كابن عباس وقتادة، كتفسير زاد المسير للإمام الجوزي، وفي بعضها على ما يساعده كالعلوم العربية، وإن خالف المنقولات، لما أن تلك المنقولات خبر أحاد لا يفيد اليقين كتفسير الزمخشري والبيضاوي. ثم إن تفسير محمود الزمخشري المعتزلي هو كما قيل:

إن التفاسير في الدنيا بلا عـــدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافـــــي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وهو تفسير مشتمل على الفوائد والدقائق، تداولته أيدي العلماء، وعملوا عليه حواشي، لكن قال بعض العلماء: إن صاحب الكشاف فسر معظم آي القرآن برأيه الفاسد، بعضه ظاهر وبعضه أخفى من دبيب النمل، وشتم عصابة أهل السنة وسفههم وجهلهم ورماهم بوعوعة الكلب، وقال: إنهم حمر مؤلفة، إلى غير ذلك، فلا يجوز استعماله لمن لم يعرف ما دسه من الاعتزال، ويقدر على التخلص منه. ثم أقول: وتفسير عمر البيضاوي مختصر الكشاف مع ما فيه من الزيادات، ولذا اختاره المتأخرون، لكن لما غلب على طبعه الفلسفة، دس في تفسيره كثيرًا من عقائد الفلاسفة مما ينابذ الشريعة، فلا يجوز استعماله إلا لمن يعرف ما دسه من الفلسفة ويقدر على التخلص منه. ثم إن ما دسه من الفلسفة أضر مما دسه الزمخشري من الاعتزال، كما يظهر لمن عرف ما دس هذا من الفلسفة وما دس ذلك من الاعتزال ترى بعض من لا يميز عقائد الفلاسفة ويظن أنه من عقائد الإسلام، فويل له.

ثم إن علم التفسير هو البحر الكبير والشمس المنير، معترك خيول العلماء المدققين ومنهى سلوك الطالبين، يجتهدون مدة مديدة وسنين كثيرة في تحصيل

فنون آية ويقتحمون الغربة ويقاسون الكربة في أسفار بعيدة بهمة عالية لتحصيل بضاعة الاطلاع على دقائق علم التفسير، فإذا انتهى سلوكهم إليه فمنهم من لا يتم منه كتابًا، بل لا يشتغل به سنة. وقد أفرد بعض العلماء بيان إعراب القرآن ووجوه تراكيبه، كالكتاب المسمى بـ "الفريد في إعراب القرآن المجيد" في أربع مجلدات لابن العرين الشافعي، طوبى لمن ظفر بنسخة منه.

وقد جمع السيوطي علوم القرآن في كتابه المسمى بالإتقان، ينبغي لكل عالم أن يستصحبه، ذكر أنه جعله مقدمة لتفسيره المسمى "مجمع البحرين ومطلع البدرين،" ،قال في الإتقان: "ذكر أن التفسير المعول عليه هو تفسير الإمام أبي جعفر الطبري المدني، أجمع العلماء المؤلفون على أنه لم يؤلف مثله "[1].

المبحث الثامن: فضائل القرآن .

قال المرعشي :"تذييل بمدح القرآن لتهييج نشاط الطالبين ليرغبوا فيه وفي العلوم المتعلقة به.

فنقول: القرآن كلام من تصاغر كل شيء لكبريائه وتذلل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته، عطاياه من الأزل إلى الأبد. إبرة من بحار رحمته وملكوته كلها حبة من خزائن قدرته، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات شرح عظمته، ثم إنه تعالى مدحه بقوله: { وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} (الشعراء: ١٩٢ – ١٩٤) { وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} (النمل: ٦] ، {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)} [فصلت: ٤١ – ٤٢] ، {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤ (} [الزخرف: ٤] ، {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)} [هود: ١] ، {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم (٧٦)} [الواقعة: ٧٥ – ٧٦] ، {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ

(١) (٤ / ٢٤٤) .

مَّكْنُـــــونٍ (٧٨) لَّا يَمَـــــسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّـــــرُونَ (٧٩) تَنزِيـــــلٌ مِّـــــن رَّبِّ الْعَالَمِين (٨٠)} [الواقعة: ٧٧ – ٨٠] ، {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـالَمِينَ نَـذِيرًا (١)} [الفرقـان: ١] ، {قُـلْ أَنزَلَـهُ الَّـذِي يَعْلَـمُ الـسِّرَّ فِـي الـسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّـهُ كَـانَ غَفُـورًا رَّحِيمًـا (٦)} [الفرقـان: ٦] ، {تَنْـزِيلًا مِمَّـنْ خَلَـقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا} [طـه: ٤] ، {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء: ٨٨] ، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢ (} [البروج: ٢١ – ٢٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي مدح الله تعالى فيها القرآن" .[١]

وقال رحمه :" فصل في مدائحه الواقعة في الحديث ،ومن شاء فلينظر إلى كتاب فضائل القرآن من مشكاة المصابيح. قال في الرعاية: عن عثمان رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه.[٢] وكان أبو عبد الرحمن يجلس لإقراء القرآن ويقول: هذا الذى أجلسني هذا المجلس–يريد الحديث الذي ذكرناه–. وعنه عليه السلام أنه قال: " من جمع القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد حقر عظيماً وعظم حقيراً" ، انتهى"[٣].

المبحث التاسع :أسماء القرآن .

قال المرعشي : "فصل في أسمائه التي سمّاه الله تعالى بها، وهي: علي حكيم، كتاب حكيم، كتاب عزيز، كتاب مبارك، كتاب مبين، كتاب منير، بشير نذير، روح، نور، موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور، نبأ عظيم، هدى ورحمة وبشرى للمسلمين، كتاب الله، كلام الله، حبل الله، ذكر حكيم، ذكر للعالمين، ذكر مبارك، قرآن عجب، قرآن عربي غير ذي عوج، قرآن حكيم، قرآن مبين، قرآن عظيم، قرآن كريم، قرآن مجيد، فرقان، تبيان لكل شيء، تفصيل لكل شيء، أحسن الحديث تنزيل العزيز الرحيم، تنزيل رب العالمين، تنزيل من حكيم حميد".[٤]

---

(١) ترتيب العلوم (ص ٢١٨) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث (٥٠٢٨) .
(٣) ترتيب العلوم (ص ٢١٨) .
(٤) ترتيب العلوم (ص ٢١٩) .

الخاتمة

وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالية :

١- عدد المباحث التي تحدث عنها المرعشي تسعة مباحث من مباحث علوم القرآن.
٢- تميزت المسائل بالتوثيق من المصدر التي ينقل منها المرعشي .
٣- برزت شخصيته في اختياراته وتعقباته .

أما التوصيات : فالبحث يعد مدخلا لبحث آخر وهو دراسة المسائل التي تحث عنها المرعشي في كتابه .

**

ثبت المصادر والمراجع

١. جهد المقل، لمحمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ)، دراسة وتحقيق: د.سالم قدوري الحمد، ط/دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٢. ترتيب العلوم، لمحمد بن أبي بكر المرعشي، دراسة وتحقيق: محمد إسماعيل السيد أحمد، ط/دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، ط/ دار الكتاب الإسلامي.
٤. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.
٥. معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط/دار صادر، الطبعة الثانية، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧.
٦. دائرة معارف القرن العشرين، د.فريد وجدي، ط/دار المعرفة.
٧. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط/مكتبة المتنبي، ١٩٦٠م.
٨. ترتيب العلوم، لمحمد بن أبي بكر المرعشي، دراسة وتحقيق: محمد إسماعيل السيد أحمد، ط/دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٩. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل المرادي، ط/دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٠. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل محمد باشا البغدادي، ط/دار إحياء التراث العربي.
١١. عثمانلي مؤلفلري، محمد طاهر بورسالي، استنابول، والكتاب مكتوب باللغة التركية، وعنوانه "المؤلفون العثمانيون"، وقد استفدت منه عن طريق د.سالم قدوري الحمد، محقق كتاب جهد المقل.

١٢. معجم المفسرين، عادل نويهض، بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
١٣. الأعلام، لخير الدين محمود الزركلي، ط/دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
١٤. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان.
١٥. المعجم العربي التركي، عبد اللطيف بندر أوغلو ومحمد خورشيد، ود.إبراهيم الداقوقي، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
١٦. رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، لمحمد بن عبد الله الطنجي ابن بطوطة، ط/دار الشرق العربي.
١٧. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، ط/دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
١٨. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، ط/دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
١٩. الحجة في القراءات السبع، للسحين بن أحمد بن خالويه، ت: د.عبد العال مكرم، ط/دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
٢٠. مفاتيح الغيب، للرازي، ط/دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ت: د.عبدالله التركي، ط/دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢٢. جامع الترمذي، لأبي عسى محمد بن عيسى الترمذي، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، ط/دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٣. النكت والعيون، للماوردي، تعليق السيد عبد المقصود، ط/مؤسسة دار الكتب العلمية.

* * *